

إبراهيم السَّعافين: الباحث... الحالم

بلال كمال عبد الفتَّاح*

لا يمكن لأبيّ دارسٍ للأدب العربيّ قديمه أو حديثه إلا أن يظفر بكتابٍ من مؤلِّفات الأستاذ الدكتور إبراهيم السَّعافين أو ببحثٍ من أبحاثه، إذ تُعدُّ مؤلِّفاته مصادر ومراجع مهمّة وأساسية في كلّ مجال من مجالاتها، ومن يقرأ السيرة الداتية للسَّعافين يجدها غنيّة مغريّة في النّظر والتأمّل في حياة رجل عالمٍ وعاملٍ في خدمة الأمة العربيّة والإسلاميّة من خلال لغتها وأدبها.

حياته وأعماله:⁽¹⁾

ولد الأستاذ الدكتور إبراهيم السَّعافين في الفالوجة في 1942/4/30م، وواصل تعليمه الجامعيّ حيث نال درجة الليسانس في اللّغة العربيّة وآدابها من جامعة القاهرة، والدبّلوم العامّة في التّربية في جامعة الكويت 1975م، كما حصل على الماجستير في الأدب الحديث في جامعة القاهرة عام 1972، وعلى الدُّكتوراه في الأدب الحديث في جامعة القاهرة عام 1978م مع مرتبة الشرف الأولى، وكان في كلّ مراحلها العلميّة من الطّلبة المتفوّقين.

عمل السَّعافين في التّدريس في مختلف أنحاء الوطن العربيّ، فعمل في جامعات الأردن: الجامعة الأردنيّة، اليرموك، الزّرقاء الأهليّة، جامعة البترا، وغيرها، وعمل في جامعات: الملك سعود، وجامعة الإمارات العربيّة المتّحدة/ العين، وجامعة الشارقة، وكليّات التّربية في سلطنة عُمان، وجامعة الحسن الثّاني في الدّار البيضاء، وغيرها.

* باحث ومحاضر في الجامعة الأردنيّة - عمان.

¹ للتّفصيل والاستزادة يرجع إلى موقع الدكتور إبراهيم السَّعافين:

<http://ph-dr-ibrahim.blogspot.com>

كما عمل في جامعات: تيّسي/ نوكسيفيل UTK، وجامعة بون، وجامعة برلين وغيرها.

كما حاضر في عدّة جامعات، وشارك في عدّة مؤتمرات محلّيّة وعربيّة ودوليّة، وتولّى عدّة مناصب إداريّة كرئيس تحرير لمجلة أبحاث اليرموك، ونائب عميد لكلّيّة الدّراسات العليا في الجامعة الأردنيّة، وعمل رئيس قسم اللّغة العربيّة في عدّة جامعات، كما كان عضوًا في مجلس أمناء جامعة مؤتة، وعضوًا في عدّة لجان، وترأس لجانًا مختلفة في التّأليف والإشراف على مناهج اللّغة العربيّة في عدّة دول عربيّة، كما أشرف على مجموعة كبيرة من رسائل الماجستير والدكتوراه في كلّ البلاد الّتي عمل فيها.

كما كان عضو لجان تحكيم لعدّة جوائز تشجيعيّة وتقديرية ودوليّة وعالميّة كجائزة الملك فيصل العالميّة، وشارك في مهرجانات وندوات ومؤتمرات عربيّة وعالميّة، وله مساهمات في التّأليف وإعداد المساقات التّعليميّة لعدّة جامعات، وساهم في تأليف بعض الموسوعات والمعاجم، كما ساهم في التّأليف والتّحقيق والترجمة، وفوق كلّ ذلك فهو أديب مبدع متمكّن في الأدب المسرحيّ والشّعريّ، ولقد نال السّعافين جائزة الملك فيصل العالميّة اعترافًا وتقديرًا بجهده وعطائه المتميّز عام 2001م.

مؤلّفاته⁽¹⁾:

- 1- تطوّر الرّواية العربيّة الحديثة في بلاد الشّام. بغداد: دار الرّشيد، 1980م/ بيروت: دار المناهل، 1987م.
- 2- مدرسة الإحياء والتّراث. ط1. بيروت: دار الأندلس، 1981م. ط2. 1987م.
- 3- نشأة الرّواية والمسرحيّة في فلسطين حتّى عام 1948م. عمّان: دار الفكر، 1985م.

¹ <http://ph-dr-ibrahim.blogspot.com>

- 4- أصول المقامات. بيروت: دار المناهل، 1985م.
- 5- المسرحيّة العربيّة الحديثة والتّراث. بغداد: وزارة الثّقافة والإعلام، دار الشُّؤون الثّقافيّة العامّة، 1990م. ط2. (مزيّدة ومنقّحة). دُبَي: دار العالم العربي، 2007.
- 6- تاريخ الأدب العربيّ من أواخر العصر العبّاسيّ حتّى العصر الحديث. (بالاشتراك) عمّان: دن، 1985م.
- 7- رواية "في ظلال الرّمّان" لطارق علي (ترجمة). د.م: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر، 1994م.
- 8- الرّواية في الأردنّ لجنة الكتاب الأمّ لتاريخ الأردنّ. د.م: دن، 1995م.
- 9- تحوُّلات السّرد- دراسات في الرّواية العربيّة. عمّان: دار الشُّروق، 1996م.
- 10- الأفعنة والمرايا - دراسات في فن جبرا إبراهيم جبرا الروائي. عمّان: دار الشُّروق، 1996.
- 11- في محراب المعرفة، دراسات مهداة إلى إحسان عبّاس (تحرير). بيروت: دار صادر ودار الغرب الإسلامي، 1997م.
- 12- الأدب العربي وفنونه (بالاشتراك). عمّان: منشورات جامعة القدس المفتوحة، 1993م.
- 13- مناهج تحليل النّصّ الأدبيّ (بالاشتراك). عمّان: منشورات جامعة القدس المفتوحة، 1992م.
- 14- تاريخ الأدب العربيّ (بالاشتراك). عمّان: منشورات جامعة القدس المفتوحة، 1995م.
- 15- تاريخ النّقد الأدبيّ القديم (بالاشتراك). عمّان: منشورات جامعة القدس المفتوحة، 1997م.

- 16- النقد الأدبيُّ الحديث (بالاشتراك). عمَّان: منشورات جامعة القدس المفتوحة، 1997م.
- 17- أساليب التَّعبير الأدبيِّ (بالاشتراك). عمَّان: دار الشُّروق، 1997م.
- 18- إحسان عبَّاس ناقد بلا ضفاف. عمَّان: دار الشُّروق، 2002م.
- 19- الأغاني لأبي فرج الأصفهاني. (25) جزءاً تحقيق بالاشتراك مع د. إحسان عبَّاس وبكر عبَّاس دارصادر: دن، 2002م.
- 20- لهب التَّحوُّلات- دراسات في الشَّعر العربيِّ الحديث. دبي: دار العالم العربيِّ، 2007م.
- 21- الرِّواية العربيَّة تُبحر من جديد- دراسات في الرِّواية العربيَّة. دُبَي: دار العالم العربيِّ، 2007.
- 22- الرُّواة على بيدر الحكمة. عمَّان: دار العالم العربيِّ، دار الشُّروق، 2007.
- 23- المبحرون إلى أعالي النَّخيل – دراسات في أدب الخليج. دبي: دار العالم العربيِّ، 2008.
- أعمال إبداعية:
- 1- ليالي شمس النِّهار "مسرحية" شاركت في مهرجان جرش الأوَّل 1981. عمَّان: رابطة الكتَّاب الأردنيِّين، 1982م.
- 2- الطَّريق إلى بيت المقدس، سلسلة أيَّام الشَّارقة المسرحية، د.م: دائرة الثَّقافة والإعلام، مارس 2003. أخرجت على المسرح – في جامعة اليرموك 1980م
- 3- أفق الخيول (ديوان شعر). بيروت: المؤسَّسة العربيَّة للدراسات والنَّشر، 2005.
- 4- حوار الحكايات (ديوان شعر). بيروت: المؤسَّسة العربيَّة للدراسات والنَّشر، 2013.

انصرفت جهود الدكتور إبراهيم السّعافين إلى جميع عناصر العملية الإبداعية الثلاثة: [المبدع، والمتلقي، والنص]، فقد اهتمَّ بـ

أولاً: المبدع من خلال دراساته وأبحاثه التي تناولت أدباء وكُتّابًا، ومثال ذلك:

(1) ما كتبه عن نجيب محفوظ: نجيب محفوظ جدل الأنا والتراث، ونجيب محفوظ والتراث.

(2) ما كتبه عن جبرا إبراهيم جبرا من خلال كتابه (الأفئدة والمرايا) وفيه جمع أبحاثه ودراساته التي تناولت أدب جبرا الروائي.

(3) ما كتبه عن الدكتور إحسان عبّاس في كتاب (إحسان عبّاس ناقد بلا ضفاف)، وما حرّره في كتاب (في محراب المعرفة: دراسات مهداة إلى إحسان عبّاس).

(4) ما كتبه عن كتاب القصة القصيرة في الأردن وفلسطين في كتابه (الرؤاة على بيدر الحكمة).

(5) ما كتبه عن حنّا مينة من خلال بحثه (صورة المرأة في روايات حنّا مينة).

ثانياً: المتلقي

وهو عنصر أساسي من عناصر العملية الإبداعية، وبه تتم عملية الاستقبال، وهو شريك في التحليل والتفسير والتأويل، وهو الذي يتمّ المعنى، وهو الذي يغلق نهايات المبدع المفتوحة، فاتّجه إليه السّعافين مُصاحبًا ومُتفنيًا ظلّه وعمله في النصّ، متجوّلاً معه مع كلّ المذاهب والتيّارات النقديّة التي عالجتّه، فخرج ببحثٍ رصين: (إشكاليّة القارئ في النّقد الألسني⁽¹⁾)، وبحث: (دور القارئ في النّقد الثّقافي)⁽²⁾،

¹ إشكاليّة القارئ في النّقد الألسني، مجلّة الفكر العربي المعاصر، فبراير، 1989.

² دور القارئ في النّقد الثّقافي، المؤتمر العلمي الثّاني لقسم اللّغة العربيّة، الجامعة الأردنيّة.

و(جمالِيَّات التَّلْقِي في الرِّوَايَة العَرَبِيَّة المعاصرة)⁽¹⁾.

ثالثًا: النَّصّ:

تنوّعت اهتمامات الدكتور إبراهيم السّعافين في دراسة النَّصِّ الأدبيّ، فقد درس الفنون الأدبيّة كلّها، وفي عصورها المختلفة الغابرة، وفي العصر الحديث، ولم تقتصر دراساته على منطقة جغرافيّة دون غيرها، فدرس (تطوُّر الرِّوَايَة العَرَبِيَّة الحديثة في بلاد الشّام)، و(مدرسة الإحياء والتُّراث) في مصر، ودرس (الرِّوَايَة في الأردن)، و(نشأة الرِّوَايَة والمسرحيّة في فلسطين)، ودرس أدب الخليج في كتابه (المبحرون إلى أعالي النّخيل)، ودرس الأدب الجزائريّ من خلال روايات الطّاهر وطّار وأحلام مستغانمي⁽²⁾.

قراءة في بعض أعماله:

وقف الدكتور إبراهيم السّعافين عند كلّ جنس من الأجناس الأدبيّة المتعدّدة والمختلفة باحثًا في الأصول، ومتتبّعًا تطوُّره وامتداده وتحولاته، ولم تكن وقفته بالسريعة ولا العجلى، بل كانت وقفة باحث متأمّلٍ ومتفحّصٍ ويستقصي ويقارن ويقابل، فهو يرى "أنّ فهم طبيعة الجنس الأدبيّ وخصائصه وقيّمته يحدّد طبيعة الأصول وملامحها بل نوعها وخصائصها"⁽³⁾.

فدرس المقامة والقصّة والرِّوَايَة والمسرحيّة، إذ وقف عند جنس المقامات في كتابه (أصول المقامات) باحثًا في أصولها ومضامينها، متتبّعًا مقامات الوُعَاظ والقُصَّاص

¹ جمالِيَّات التَّلْقِي في الرِّوَايَة العَرَبِيَّة المعاصرة، المجلس الأعلى للثقافة، 1998م، ونشر فيما بعد في كتابه (الرِّوَايَة العَرَبِيَّة تبحر من جديد)، دار العالم العربي للنشر والتوزيع، دبي، 2007م، ص 63-27.

² انظر بحث (الطّاهر وطّار والتُّراث) ص 265-277، وبحث (ذاكرة الجسد بين الدّم والذّاكرة) في كتابه: (الرِّوَايَة العَرَبِيَّة تبحر من جديد).

³ أصول المقامات، ص 8.

وأحاديث الأعراب وحكايات البخلاء والمكديين واللصوص والظُرفاء والشُطّار والعيّارين وحكاية أبي القاسم البغداديّ، كما تتبّع أصول المقامات من حيث التّشكيل الفئّي في ثلاثة أبعاد هي: اللّغة والنّمودج المسرحيُّ والحكاية المسرحيّة، وينتهي إلى أنّ المقامة "جنس أدبيّ خاصّ"⁽¹⁾، ويؤكّد على وجود ملامح المسرحيّة من بعض الوجوه فيها، كما يشير إلى تمثّل صورة من صور الحكاية والقصة من جانب، وتمثّل الملامح الدّراميّة بلغتها وروحها وشخصيّاتها من جانب آخر⁽²⁾.

ويُفرد للمسرحيّة كتابًا عنونه بـ (المسرحيّة العربيّة والتّراث) حيث ذهب في دراستها وتتبّع مظاهرها في التّراث العربيّ، كما سعى باحثًا عن أثر التّراث في المسرح العربيّ الحديث، فوقف عند علاقة المسرحيّة العربيّة الحديثة بمصادر التّراث الدّينيّ، والسّيرة الشّعبيّة، وألف ليلة وليلة، والحكاية الشعبيّة، والحكاية المسرحيّة (صندوق العجب)، ومسرح الرّؤاد، وقدم السّعافين جهدًا واضحًا وهو يستجلي توظيف هذه المصادر في تشكيل المسرحيّة العربيّة الحديثة من خلال دراسة نصيّة في المقام الأوّل⁽³⁾.

وفي كتابه (مدرسة الإحياء والتّراث: دراسة في أثر الشّعْر العربيّ القديم على مدرسة الإحياء في مصر) سعى السّعافين إلى دراسة موضوع كبير، وهو موضوع أثر الشّعْر القديم على مدرسة الإحياء في مصر بشكل موضوعيٍّ وتفصيليٍّ، واقفًا عند الكتب المخطوطة والمطبوعة التي تأثّر بها شعراء الإحياء من حيث الأغراض والمعاني، كما بحث أثر الشّعْر القديم على شكل القصيدة الإحيائيّة من حيث البناء والألفاظ والصُّور والموسيقى.

¹ أصول المقامات. ص 189.

² أصول المقامات. ص 189.

³ المسرحيّة العربيّة والتّراث. ص 4.

ويظهر هذا الكتاب -بالإضافة إلى كتبه الأخرى - شخصية السّعافين باحثًا مستقصيًا وموضوعيًا وهو يتأني في استصدار الأحكام بعد كبير جهد وطول زمن، فيشير إلى ذلك في مقدمته كتابه: "وبما أنّ حركة الإحياء قد قامت على التُّراث القديم، تتأثره وتستهديه، فقد كان لزامًا عليّ أن أتوسّع في دراسة الأعمال الشعريّة القديمة، - وبخاصّة الأعمال المطبوعة منها - بحيث أذكر أيّ أنفقت في الدِّراسة والتتبع والاستقصاء زمنًا طويلًا إيمانًا مِنِّي بأنّه لا بدّ للباحث - أيّ باحث - حتّى يحكم على عمل من الأعمال أن يكون قويًّا، وتمثّل هذه الأدوات، التي سبني من خلالها أحكامه، تمثُّلاً مباشرًا".⁽¹⁾

ولعلّ الرواية هي من أكثر الأجناس الأدبيّة التي نالت اهتمام الدكتور إبراهيم السّعافين ابتداءً من أطروحة الدكتوراة (تطوّر الرواية العربيّة الحديثة في بلاد الشّام) ومرورًا بأبحاثه المحكمة والتي جمعها فيما بعد في كتب، وانتهاءً بأبحاثه ومقالاته التي تنشر في الصُّحف والدُّوريات المختلفة.

ومن كتبه التي جمعت أبحاثه التي نشرت في مجلّات في أوقات متباينة والتي ائتملت في موضوع متجانس حول الرواية كتاب (تحولات السرد: دراسات في الرواية العربيّة) وقد درس فيه قضية الشّكل في الرواية العربيّة، والرواية العربيّة بين التُّراث الشّعبيّ والرؤية الرومانتيكيّة، والرواية التّاريخيّة حول صدر الإسلام في بلاد الشّام، كما درس لغة الحوار في الفنون القصصيّة والمسرحيّة، والرواية بين الموضوع والتشكيل، ونجيب محفوظ والتُّراث، وصورة المرأة في روايات حنا مينة، بالإضافة إلى أبحاث أخرى.

ويقرّر السّعافين أنّ الرواية العربيّة شأنها شأن الرواية الغربيّة شكل غير منجز "وكلاهما يجرب، وجدارة التّجريب تكمن في قيمته، وفي طبيعته، وفي استجابته

¹ مدرسة الإحياء والتُّراث. ص 6.

لحاجات فنّيّة جوهريّة، وتبقى الرّواية عرضة لمخاطر جمّة؛ لأنّها الجنس الأضعف الذي يفتح شهية المغامرين باستمرار".⁽¹⁾

تطوّر الرّواية العربيّة الحديثة في بلاد الشّام 1870-1967م:

أصل هذا الكتاب هو أطروحة الدّكتوراه، ولعلّ سبب اختيار السّعافين هذا الموضوع يبيّن أصالته وعروبه وصدق انتمائه لأمتّه، إذ يقول: "فقد رأيت إيمانًا بالوحدة المصيريّة الشّاملة، بين أقطار الأمتّة العربيّة عامّة، وبالوحدة الطّبيعيّة بين بلاد الشّام التي فرضت عليها التّجزئة، خاصّة، أن أعالج موضوع تطوّر الرّواية العربيّة الحديثة في بلاد الشّام بصورة متكاملة، ذلك أنّها إن لم تشكّل في الوقت الحاضر وحدة سياسيّة واحدة، فإنّها تشكّل وحدة ثقافيّة واجتماعيّة واحدة، وإن انسحب هذا على معظم الأقطار العربيّة إن لم يكن كلّها إلى حدّ كبير".⁽²⁾

ويحرص السّعافين دائمًا على النّظر في الفنون الحديثة والمستحدثة ليقارن ويقارب ويعقد علاقة -إن كانت هناك علاقة- بينها والتّراث، فهو ينظر إلى "نشأة الرّواية الحديثة في بلاد الشّام، على أنّها متّصلة الأسباب بالتّراث الرّوائيّ والقصصيّ، سواء أكانت في شكل المقامات، أم في شكل السّير والأعمال القصصيّة والشّعبيّة"⁽³⁾، وهو يؤمن إيمانًا جازمًا بأنّ "عنصر القصة كان يتفاعل في وجدان هذه الأمتّة منذ عصورها الموهلة في أعماق الرّمن، وظلّ يتفاعل معها على مرّ الأجيال، يقوم بوظائف اجتماعيّة ونفسيّة متعدّدة الجوانب"⁽⁴⁾، ولذلك سعى السّعافين في هذا الكتاب إلى

¹ تحوّلات السّرد: دراسات في الرّواية العربيّة ص 23.

² تطوّر الرّواية العربيّة الحديثة في بلاد الشّام ص 8.

³ ن.م.، ص 28.

⁴ ن.م.، ص 28.

دراسة الرواية الكلاسيكية وهي تتماهى ما بين المقالة والمقامة، وبين المقالة والقصة، وتكتسب ملامحها من الذوق الشعبي.

كما درس الرواية الفنيّة والتاريخيّة والتسجيليّة والرّمزيّة والفرديّة، مستعرضاً موضوعاتها، وعناصرها، ولامحها، وأقطارها وأقطابها، وأحسب أنّ هذا الكتاب وما بذل فيه من جهد وتقصّ كبيرين هو الذي حمل نواة أبحاث السّعافين التي تبعته في مجال المقامة والقصة والمسرح والرواية، ويعدُّ كتابه - شأن كتبه الأخرى - كتاباً رائداً، ومصدراً أساسياً، ومرجعاً مهماً، لكلِّ دارسي تاريخ الرواية العربيّة، سواء أكان ذلك على مستوى توثيق الأعمال الروائيّة في تلك الحقبة (1870-1967م) من خلال التعريف والتصنيف، أم من خلال الدّراسة الفنيّة والموضوعيّة والنقدية لتلك الأعمال، أو من خلال تتبع مسار تطوّر نشأة الرواية واحتكاكها وتداخلها مع الفنون الأخرى.

الرّواية على بيدر الحكمة: القصة القصيرة في فلسطين والأردن 1950-2000م:

يذهب السّعافين في هذا الكتاب إلى دراسة القصة القصيرة في فلسطين والأردن من 1950-2000م، راصداً ومستقصياً ومحلّلاً ومفسّراً ومتتبّعاً تحولاتها ومغامراتها وتجربتها، واقفاً عند روادها وأجيالها المتتابعة، معرّفاً ومؤرّخاً ومحلّلاً وناقداً، وهو لا يميّز أدب الأردن وفلسطين عن باقي الدول العربيّة في البناء العام، ولكّنها تميّز بخصائص تتعلّق بالمضمون، لخصوصيّة المنطقة، واحتكاكها المباشر بقضيّة الشرق الأوسط، ويلاحظ السّعافين على الأدب في الأردن وفلسطين أنّه "مزج بين تيّارات مختلفة، فمن رؤية رومانسيّة للقضيّة الفلسطينيّة إلى واقعيّة كابية في الأغلب قلّما تنفذ إلى أمل في نهاية النّفق، إلى تأثر بالوجوديّة التي ظهرت بقوة في أوائل الستّينات".⁽¹⁾

¹ الرّواية على بيدر الحكمة. ص 47.

ويركّز الكتاب على إفراد عنوان مستقلٍ لكلِّ قاصٍّ من رواة الحكمة في تلك الحقبة، وفي تلك المنطقة، دون تحيُّزٍ لقاصٍّ كبيرٍ أو إهمالٍ لقاصٍّ مغمور.

إبراهيم السّعافين أديبًا:

عكست الصّفحات السّابقات شخصيّة إبراهيم السّعافين أستاذًا أكاديميًا، وباحثًا جادًا، وناقداً مبدعًا، من خلال أعماله ومناصبه وأثاره المتعدّدة، وهنا سنتناول شخصيّة السّعافين أديبًا مبدعًا و متمكّنًا وإن غلبت عليه الصّفة الأكاديميّة أكثر، وذلك بسبب نشره لأعماله الأدبيّة في أوقات متأخّرة، فقد عرف السّعافين كاتبًا مسرحيًا من خلال مسرحيّته: (ليالي شمس النّهار) 1982م، و(الطّريق إلى بيت المقدس) 2003م، كما عرف شاعرًا من خلال ديوانيه: (أفق الخيول) 2005م و(حوار الحكايات) 2013م، ويضمُّ الدّيوانان قصائد كتبت في فترات مختلفة من حياته وفي أزمان متباعدة، وهنا تظهر صفة التّأثّر التي لمسناها في تتبّعنا لأثاره البحثيّة والنّقديّة، بل تظهر صفة السّعافين الباحثة عن الأصول والجذور وما ينفع النّاس، فلا يكتب ولا ينشر إلّا بعد إحكام وتحقّق، وكأنّه هنا لم ينشر إلّا ما اقتنع به وارتاح إليه ولو بعد زمن طويل، وفي هذا الفضاء الإبداعيّ تظهر شخصيّة الفلسطينيّ في شخص السّعافين وهو يحمل آلامه وأحلامه، ويستذكر ما حمل من ذكرياتٍ وطنٍ وشعبٍ.

ذكرنا في الصّفحات السّابقات - من خلال استقراءنا لعناوين كتبه وأبحاثه - أنّ السّعافين مولع ومنجذب نحو التّراث كما يسعى إلى مدِّ الجسور مع المعاصرة، وهنا نجد ظلال هذه المعاني في فضائه الإبداعيّ من خلال سيميائية ديوانيه: (أفق الخيول) و (حوار الحكايات)، فمفردة الخيول وهي تسافر بك إلى زمن العروبة والفروسيّة حيث جذور العرب، ومفردة (الحكاية) وهي تنقلك إلى أجواء الحكاية العربيّة، كما تظهر المعاصرة جليّة وهو يزاوج ويجاور بين السّعريّ والسّرديّ، وهو

يوظّف موروث القصيدة العموديّة في شكل قصيدة التّفعية الحديثة، ومن خلال توظيف الحوار الدّاخليّ والخارجيّ، أو مسرحيّة الشّعريّ، لتكون القصيدة مختزلة ومكثّفة.

وسأقف هنا عند ديوانيه لأقتنص مفردة هي من أكثر المفردات السّائرة، ألا وهي مفردة (الحلم) وتصريفاتها، فلا تكاد تخلو قصيدة واحدة من الدّيوانين لم تحمل هذه المفردة وتوظّفها، وهي مفردة ثابتة ومتكرّرة في قاموس السّعافين الشّعريّ، ولعلّ سيمياء عنونة القصائد تحمل دلالة من تلك الدّلالات، ففي ديوانه (أفق الخيول) نقرأ العناوين الآتية: (أغنيتان للحلم، الحلم والأطفال، أحلام البنفسج، سيّدة الحلم، الأحلام العابرة)، وفي ديوانه (حوار الحكايات) نقرأ عنوانين هما: (تحلم أكّد.... تسأل سومر، حلم ليلة صيف)، لكن مفردة الحلم تحضر بكثرة في كل القصائد.

مع الحلم يظهر الألم الفلسطينيّ كما يظهر الأمل، ومع الحلم تنفجر كلمات الشّاعر أنينًا وحنينًا، فاستمع إليه حين يقول:⁽¹⁾

"إني أحلم...
لكن.. يا هذا الحشد السّريّ
تعديّبي كلماتي
تدخل في كلّ جروحي
تطلقني أغنية... تستعبد روحي
تسكنني شهوة دهر، وتغادرني
كالطّير المذبوح
من أورااد صلاتي، تنفجر كلماتي

¹ أفق الخيول ص 49.

تحفر بالبيّكين ظلام القهر
وأمضي.. أمضي،
يرتعش الخطو ويخبورج
الطُّرقات
ويناديني حلي".

لقد ارتبط الحلم الفلسطينيّ بالذِّكرى والألم، بالهجرة والنّفي والبعاد:⁽¹⁾

"أنا المنفيُّ أحلم بالنُّجوم الخضراء
ساهرة على كرسي
بموج البحر يغسل
حزننا اليومي
بلثم شقائق النُّعمان عند
الصّحو والنّوم
أنا المنفيُّ أدمن صحبة
الذِّكرى
فببتي في المدى ذكرى
وجرحي في الهوى ذكرى
وتأكلني هي الذِّكرى"

¹ أفق الخيول. ص 104.

ويقول في قصيدة أخرى:⁽¹⁾

"من أين يعيء الحزن، وللحزن الرّاعف

أكثر من شريان

أحلم أن يأتيني نبأ يحملني للبريّة

للشُّطآن

أسترق السّمع لأخبار الرّكب السّاري من أزمان

أحمل وجعي في كلّ مكان".

لقد أكسب السّعافين الأحلام صفات متعدّدة مثل: العاقرة⁽²⁾، و العابرة⁽³⁾،
والمجنونة⁽⁴⁾، كما أسند إليها أفعالاً مضارعةً مثل: ندّل أحلامنا⁽⁵⁾، تعبت أحلامنا⁽⁶⁾،
نبني قرانا وأحلامنا من جديد⁽⁷⁾، سنحرس حلم الصبايا⁽⁸⁾، يمزّق أحلامنا⁽⁹⁾، يخطفنا
الحلم⁽¹⁰⁾، وغيرها كثير، وهي أفعال تتناقض وتتعارض حسب الحالة النّفسيّة
والموضوع.

¹ ن.م.، ص 89.

² أفق الخيول ص 136.

³ ن.م.، ص 149.

⁴ حوار الحكايات ص 34.

⁵ ن.م.، ص 60.

⁶ ن.م.، ص 58.

⁷ ن.م.، ص 46.

⁸ ن.م.، ص 19.

⁹ ن.م.، ص 10.

¹⁰ ن.م.، ص 101.

ولم يجعل السّعافين الحلم مرادفًا ومصاحبًا للماضي والدّكريات والألم فقط، بل
اتّخذ منه سلاحًا وأملًا يتحدّى به:⁽¹⁾

"فلن أخلع الحلم يا ولدي

لن أضيّع التّفاصيل من كرمنا

المستريح على جبهة الكون".

ويقول: "فلن أخلع الحلم مهما يطل دربنا".⁽²⁾

ويقول: "أيا جدُّ

إنّا نتوق إلى سكر الحلم

في غدنا المطمئنّ

ولن يسحب الحلم منّا الظلام"⁽³⁾

ويبقى الحلم الفلسطينيّ حيًّا بعودة الفلسطينيّين إلى وطنهم، وتبقى فلسطين بهيئة
زاهية بأبنائها-علماء وعاملين - باحثين عن الحقّ والحقيقة، حاملين همّ الأُمَّة
وحاملين بتحقيق العدل والحرّيّة.

¹ ن.م.، ص 52.

² حوار الحكايات ص 53.

³ ن.م.، ص 54.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1) السّعافين، إبراهيم. أصول المقامات. بيروت: دار المناهل للنّشر والتّوزيع، 1987.
- 2) السّعافين، إبراهيم. أفق الخيول. بيروت: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر، 2005.
- 3) السّعافين، إبراهيم. الأقنعة والمرايا: دراسة في فنّ جبرا إبراهيم جبرا الرّوائيّ. عمّان: دار الشّروق للنّشر والتّوزيع، 1996.
- 4) السّعافين، إبراهيم. تحولات السّرد: دراسات في الرّواية العربيّة. عمّان: دار الشّروق للنّشر والتّوزيع، 1996.
- 5) السّعافين، إبراهيم. تطوّر الرّواية العربيّة الحديثة في بلاد الشّام. بيروت: دار المناهل للنّشر والتّوزيع، 1987.
- 6) السّعافين، إبراهيم. حوار الحكايات. بيروت: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر، 2013.
- 7) الرّواية الأردنيّة، أوراق ملتقى عمّان الثّقافي الأوّل. مجموعة من الكتاب. عمّان: وزارة الثّقافة: دار أزمنة للنّشر والتّوزيع، 1993.
- 8) السّعافين، إبراهيم. الرّواية العربيّة تبهر من جديد. دُبي: العالم العربيّ للنّشر والتّوزيع، 2007.
- 9) السّعافين، إبراهيم. الرّواية على بيدر الحكمة. عمّان: دار الشّروق للنّشر والتّوزيع، 2007.
- 10) السّعافين، إبراهيم. مدرسة الإحياء والتّراث. د. م: دار الأندلس للنّشر والتّوزيع، 1981.
- 11) السّعافين، إبراهيم. المسرحيّة العربيّة الحديثة والتّراث. بغداد: دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، 1990.